



الكل يجرم الاستعمار ويحقره، وكل القوانين الدولية والوطنية تشرع مقاومته ومكافحته ومناهضته بكل السبل بما في ذلك العسكرية، دفاماً مشروعها عن النفس والأهل والشعب والأرض والقيم... بختصار: عن الوطن المحتل..

لكن ما هو الاستعمار؟

أليس من محدداته تولي سلطة تسيير شأن بلد دون تفويض من السكان، أي الإمساك بتفاصيل البلد ودوليه ومؤسساته، وإخضاع شعبه بقوة الحديد والنار، بغض النظر عن اشتراك تلك السلطة وأولئك السكان في الدين، أو اللغة، أو العرق... أو بعض منها، أو كلها، بغض النظر عن اشتراكهم في ذلك من عدمه، وبقطع النظر أيضاً عن مستوى تحقيق العدالة بين أبناء البلد المحتل، وكذا عن مستوى تحقيق الرفاهية والتنمية وتقديم الخدمات، وكذا عن حصول تنفع الحاكمين المستولين أو زدهم في المصالح والطموحات الشخصية؟

وبهذا المعنى، ألا يكون حكام العرب محتلين لأوطان شعوبهم؟

فهم لا تفويض لهم بالحكم، ويُخضعون الشعوب بالقوة، ولا يحقون أدنى مستوى من العدالة أو الكرامة لشعوبهم، ولا ينجزون أدنى تنمية في البلاد التي يحتلونها، ولا يقدمون أية خدمات ذات بال للمواطنين، ولا يتورعون عن تحقيق مصالحهم، وقضاء حاجاتهم وماربهم، وتقريب أهاليهم وأصدقائهم ومعارفهم وحاشياتهم وزبانيتهم، ونهب خيرات البلد، والتنكيل بأهله وإذلالهم والتضييق والوصاية عليهم... .

إنه لا يمكن اختزال الفرق في جنسية الحكام التي يسمونها زوراً بالوطنية، بل لا يُستساغ النعت بالوطنية نظماً استولت على الحكم بانقلاب، أو تزوير، أو مؤامرة وتوافق مكن الأقلية العرقية أو المذهبية أو الطائفية من التحكم في رقاب الأغلبية السكانية، أو تعاقد خرافي صوري لا أساس له في الواقع، ثم حمت وجودها بالقوة العسكرية المبيدة...!!..

إن هذه الظواهر ما هي في حقيقة الأمر إلا أقنعة للاحتلال وإن اختلفت جنسية الحاكم.. بل إن التطور الذي طرأ على "علم الاحتلال" قد نقل الإشراف المباشر من المحتل الأجنبي إلى العميل "الوطني"، تخلصاً من كثير من الالتزامات والاستحقاقات والتكاليف والتعابات... .

وعلى كل، إذا كانت العبرة بالخواتيم، ومقاييس الاعتراف والاحترام هو غياب السلطة - لأنه مع وجودها تجرحهما شبهة

الخوف- وإذا كان "القادة" لا ينبهون "حياتهم السلطوية" حتى بالتقاعد ليُرى كيف يعاملهم أفراد الشعب بحقاره وازدراء، فإن المتاح هو ملاحظة تعامل الناس مع بعض ممثلي السلطة كأنموذج مجسد للحاكم القائم بأمره..

فـكما كان بالأمس القريب "قائد الاستعمار" الخائن يتوارى، هو وكل من ينتسب إليه من قريب أو بعيد، عن القوم الذين حكمـهم تحت طائلة الخزي والاستهـزاء، بل والانتقام، بعد زوال سلطـته بـفعل "الاستقلال"، فيـغادر إلى المجهـول داخلـ البلاد أو خارـجـها، هـا هو "قائد الاستـبداد" الظـالـم، ولـلـسبـب نفسه، يتـوارـى من الناس بعدـما تـزـول سـلـطـته بـداعـي التـقـاعـد أو الـانتـقال، هو ورـجـالـه وـمـن عـلـى شـاـكـلـتـه.

إنهم منبوزون لا أصدقاء لهم ولا معارف حتى من الذين استعملوهم من السلطات، أو سخروهم من العصابات !!

وإذا كانت بضدتها تميز الأشياء، وبالمثال يتضح المقال، فإن النظر في حال المتقاعد الغربي، أو من أنهى انداته بسبب انتهاء ولايته الانتخابية أو خسارة الجولة الموالية، في مجتمعه ومنزلته بين قومه ومكانته لدى شعبه، تمعن في بيان ذلة من زالت سلطته وبادت سطوطه ممن بیننا!!..

العصر

المصادر: